

اللغة العربية بين الفصحى والعامية

الدكتور محمد حامد الأفندي

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، .

لعلكم تفضلون بالسماح لي بأن أبدأ بذكر الآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» . والحديث عن اللغة العربية فصحاها وعاميتها، لا يعني أن هناك كارثة توشك أن تحل بالناس ، ولا يعني أننا مضطربون أشد الاضطراب ، لأن هناك فقايع تظهر أحيانا على السطح ، تدعو إلى استعمال العامية ، ثم لا تلبث هذه الفقايع أن تنطفيء ، وأن تزول آثارها ، ولعلني لا أغالي كثيراً إذا قلت : إن ظهور مثل هذه الأشياء من وقت إلى آخر إنما هو في الواقع ظاهرة صحية ؛ أن نجد بعض الناس يدعون دعوات مرفوضة لأن هذا من شأنه أن ينبه الغافلين وأن يوقظ أولئك الذين يستسلمون للأموال ويدعونها تسير ، كأنها هي في غير حاجة إلى من يأخذ بيدها ، أو يلتفت إليها . ولهذا ، فلست أحس بجزع ولا هلع لوجود بعض أفراد من وقت إلى آخرينادون ، أو يدعون إلى أشياء نعتبرها نحن خاطئة ، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولو شاء لجعلهم جميعاً يدعون إلى الخير ، ويعملون به ، ولكن الله خلق الشر والخير ، وجعل للخير أناساً يحافظون عليه ، وللشر أناساً يسرون في طريقه ، وهؤلاء طبعاً لن تكون لهم الغلبة في يوم من الأيام ، إلا إذا أراد الله أن يقصم ظهورهم ؛ «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميراً» فانها ارادة الله أولاً وأخيراً .

وأرجو أن أشير إلى ما تفضل الأخ الدكتور عبدالله الجبوري بالإشارة إليه ، من أننا لا ندعو إلى أن تكون هناك لهجة واحدة ، وإلى أن تستعمل الفصحى دون غيرها ، ثم نستنكر أولئك الذين يتحدثون بلهجات عامية أخرى لا سبيل إلى ذلك ، فاللغة العربية لها لهجات متعددة من قديم الزمان ، واللغة العربية يمكن أن تسير معها السليقة والطبع . واسمحوا لي أن أذكر في هذا المقام حادثة طريفة لعلكم جميعاً تعرفونها . عندما بدأ اللحن يدخل على ألسنة بعض العرب ، كان هناك طفل يعلمه معلم استقدم إليه ، فبدأ المعلم (وكان يريد أن يعلمه سورة المسد) : «تبت يدا أبي لهب وتب . . .» بدأ المعلم يحفظ تلميذه قل ورائي يا بني «تبت يدا» فيقول الطفل : «تبت يدان» ، وكلما كرر المعلم «تبت يدا» ردّ الطفل «تبت يدان» ، حتى إذا ضاق المعلم ذرعاً بذلك ، قال : قل يا بني ، قل يا أخي «تبت يدا أبي لهب وتب» فرد الطفل بدون تردد «تبت يدا أبي لهب وتب» ؛ ذلك لأن سليقة الطفل لم تقبل إطلاقاً أن ينطق «تبت يدا» لأن اللغة العربية الصحيحة «تبت يدان» ، فإذا أضيفت إلى ما بعدها ، صارت «تبت يدا أبي لهب» وحذفت النون في هذه الحالة ، فالطفل بسليقته ، ودون أن يعرف قواعد النحو والصرف ، ودون أن يعرف الإعراب ، نطق نطقاً سليماً ، وأراد المعلم أن يحفظه ، وأن يجزيء الجملة ، فلم تقبل سليقته أن يخطئ في النطق ولكنه نطق الآية الكريمة بعد ذلك نطقاً سليماً ، حينها تليت عليه كاملة .

ونحن إذا تلفتنا حولنا في أيامنا هذه، نجد أن الفصحى قد طُغِي عليها كثيراً، وطُغِي عليها في كل المجالات، وفي جميع الأوساط، وإنه لأمر يدعوا فعلاً إلى اليقظة. ويتحدى المسؤولون عن اللغة العربية وعن التعليم، قلة قليلة بالقياس إلى الأعداد الهائلة التي لا تجيد اللغة العربية هي التي تستطيع أن تحافظ عليها، وتستطيع أن تقوم لسانها. ولعلنا لا نبالغ كثيراً إذا قلنا: أين أولئك الذين يتحدثون اللغة الفصحى بين المعلمين، على اختلاف تخصصاتهم، حتى الذين يدرسون منهم اللغة العربية؟. أين أولئك الذين يستطيعون تقويم ألسنتهم، ممن يتعرضون في كل يوم للكتابة للناس، في الصحف؟. أين أولئك الذين يستطيعون أن يتحدثوا لغة عربية سليمة، حين يتكلمون في المذيع، أو في التلفاز؟، وفي كل وسائل الإعلام؟. كل الأحاديث التي نسمعها، وكل الكتب التي تكتب ليقرأها الناس، يندر أن نجد فيها كتاباً خالياً من الخطأ ومن اللحن.

إذاً، لقد تفشت ظاهرة عدم العناية باللغة الفصحى. ولكن هل هذا الانصراف عن اللغة الفصحى، يعني أن الأمل في العودة إليها ضعيف؟ أو أن الوسائل المؤدية إلى الرجوع إليها ليست واضحة، ولا ممكنة؟. الواقع أننا في حاجة أولاً إلى أن نعرف الأسباب التي دعت إلى ما كان يعبر عنه بعضهم، في بعض الصحف، قديماً «بأمية المتعلمين». وهو تعبير لا كتبه الصحف أحياناً في الحديث عن ضعف مستوى خريجي الجامعات. ما هي الأسباب وراء هذه الأمية فيما يخص اللغة الفصحى بالذات؟ يقال: إن اللغة العربية صعبة، وإن التعامل معها عسير وإن قواعدها ليست ميسورة، وإن بلاعتها لا تفهم. والرد على هذا بسيط:

نعيب زماننا، والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

العيب ليس في اللغة العربية ذاتها، وليس في قواعدها؛ نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وليس في شيء يتعلق باللغة، وإنما العيب فينا نحن، نحن الذين انصرفنا عنها، والذين خيل إلينا أنها كابوس ثقيل، لا نستطيع أن نقبل عليه، ونجد أمامنا مغريات أخرى، تصرفنا عنها، فنلهو وراء هذه المغريات، ونسير في ركاها؛ طائنين أننا بذلك نعلن عن تقدمنا، ونعلن عن حضارتنا، ونعلن أننا أصبحنا عصريين، وأننا نسير في ركب المدنية. قد تكون هناك بعض التعقيدات، أو بعض الصعوبات في التأليف، وليس في القواعد نفسها. في تأليف بعض الكتب قد تكون هناك وسائل غير ميسرة، لمن يريدون أن تُسَر لهم، وربما كانت مسؤولية المسؤولين عن ذلك هي اللجوء إلى ما يكتب في قواعد اللغة المختلفة، من نحو، وصرف، وبلاغة، ربما كان من الصواب أن نيسر أسلوباً، أو أن نتبع طريقة في

العرض، تلائم أولئك الذين يعيشون في عصر التقنية (التكنولوجية) الحديثة، ولست أدري لماذا تستعمل في اللغة الإنجليزية مثلاً، في هذه البلاد، وفي غيرها من سائر البلاد العربية، وسائل حديثة لتعليم هذه اللغة، وتوجد مختبرات، وأدوات، وآلات نستعملها، ثم لا يوجد نظير لذلك في اللغة العربية نفسها؟ أشعوراً منا بأن لغتنا أقل من هذه اللغات؟ إننا نجد الكثيرين منا يحلوهم، لكي يبرهنوا على ثقافتهم، وعلى علمهم، وعلى أنهم قد جاوزوا حدود هذه البلاد العربية إلى بلاد أخرى، إذا تحدث الواحد منهم كلمة بالعربية تلثم، وأظهر أنه لا يستطيع أن يعبر عما في نفسه بهذه اللغة الصعبة، فبدأ يحشر كلمات من اللغات الأجنبية، في كلامه حين يتحدث، حتى إنه حينما يريد أن يقول لك: «شكراً» يعجزه لسانه عن أن ينطق هذه الكلمة فإذا به ينطق أحياناً كلمة «مرسيه»، أو «ثانك يو» كأنها هذا هو الدليل الوحيد، على أنه قد ذهب خارج بلاده وتعلم عدة لغات.

هذا في الواقع هو ضعف الشخصية، هو ضعف الإرادة، هو ضعف الإيمان بدين الإنسان، وبلغته، وبقوميته. وهؤلاء الذين يفعلون ذلك، قطعاً لا بد أنهم يحسون في أعماقهم، بأنهم ينتمون إلى أمة غير هذه الأمة، أو بأنهم قد صاروا أعلى درجة من هؤلاء الذين يتكلمون العربية وحدها؛ لأن اللغة العربية في الواقع، هي لغة قوم ضعاف من الناحية السياسية ونحن نعلم أن المنتصر، وأن الغالب وأن القوي، يفرض إرادته، ويفرض سيطرته، على الذين يتبعونه، أو على من هم أضعف منه، سواء اتبعوه أولم يتبعوه. والضعيف دائماً يحاول أن يقلد من يعتقد أنه قوي، حتى ولو لم يحس به، فالضعف السياسي الذي انتاب الدول العربية بصفة عامة، جعلها تظن أن هذا التقدم المادي في النواحي التقنية الحديثة، معناه: أن الأمة العربية، في حاجة لكي تنهض - أن تستعين بلغة هؤلاء القوم، وأن تحذو حذوهم، وأن تسير في ركابهم ونسى الذين يظنون هذا الظن، أن هؤلاء الذين تقدموا في النواحي المادية، وفاقوا في المخترعات التقنية الحديثة، هؤلاء أنفسهم يشكون مرّ الشكوى من ضعف النواحي المعنوية فيهم، يشكون مرّ الشكوى من الهمجية الخلقية، المتفشية في مجتمعاتهم، يشكون مرّ الشكوى من أن شبابهم منحرف، ومن أنهم يتجهون اتجاهات لا يمكن أن تقبلها أدمية الإنسان.

ولكن نحن إنما تأخذنا المظاهر والبريق، لدرجة أن أصبح بعضنا يقول إن اللغة العربية لا تصلح للعصر الحاضر؛ لأنها لغة قديمة، نطق بها أناس كانوا يعيشون مع الجمال، ومع الرمال، وهذه الأشياء، أما الطائفة، والمخترعات الحديثة المختلفة، فليس لها أسماء، وليس لها نظائر، في اللغة العربية.

ولست أدري كيف يمكن أن تُطَلَّق مثل هذه الدعاوى الفارغة؟! ولكن لا عجب، فهي تصدر من قوم لا يعلمون شيئاً عن اللغة العربية، لم يدرسوها، لم يعرفوا أسرارها، لم يعرفوا خباياها، والذين عرفوا علماً كفته اللغة، يستطيعون أن يدركوا كم من الأسماء، وكم من المسمى الواحد، وكم من عشرات، بل مئات الأسماء، أحياناً، تطلق على مسمى واحد، ولكل منها معنى في مناسبة، وفي ظرف، وأن اللغة العربية غنية غنى كبيراً جداً.

ولو كانت هذه اللغة قاصرة أو عاجزة عن أن تليي مطالب الإنسان، في كل مجتمع، وفي كل عصر، وأن تليي حاجاته، مهما بلغت تقنياته، ومهما بلغت حضارته؛ لو كانت كذلك لما اختارها الله من دون سائر اللغات جميعاً، لتكون لغة القرآن، الذي تعهد الله سبحانه بأن يحفظه أبد الأبد. لو كانت كذلك، لما كانت لغة القرآن على الإطلاق، ولكنها هي اللغة الخالدة، وهي اللغة القادرة على تلبية جميع المتطلبات.

يخطر في بالي هذه اللحظة ما قرأته منذ عهد غير بعيد، في إحدى الصحف، من اتهام للغة العربية. إنني أسوق هذا فقط لنرى مدى التمدن، ومدى الحضارة التي وصل إليها بعضنا، يكتب في الصحف أن اللغة العربية لغة متحيزة، لغة تعادي المرأة وتحاربها، لماذا؟ لأن فيها «نون النسوة»، ولأن النحويين أجحفوا بالمرأة، وظلموها، واستعملوا لها التأنيث، واستعملوا لها نون النسوة، واستعملوا لها هذه الأشياء فدلوا بذلك على أنهم متحيزون ضدها. . . هكذا، وبهذه البساطة، نتكلم وبدون أن نعي ما نقول، وبدون أن نفهم حتى أن قواعد اللغة العربية التي وضعها النحويون، ليست هي التي أوجدت اللغة العربية، اللغة العربية ليست من وضع النحاة، وليس من وضع قواعد اللغة العربية هو الذي أوجد هذه اللغة، حتى يقال: إن النحاة ظلموا المرأة، بإدخالهم هذه الأشياء إلى اللغة العربية.

ومنذ يومين، أو ثلاثة على الأكثر، قرأت أيضاً في صحيفة أخرى مقالاً، أعتقد أنه كان موقعاً باسم «ليلي» تقول فيه إن اللغة العربية الفصحى لا يجوز، إطلاقاً أن تعلم للأطفال، اللغة العربية تعلم للكبار، وأرادت أن تدافع عن نفسها، فقالت: «لا، لا، أنا لا أقصد أن اللغة العربية لا نعلمها، ولكن أقول أنها لغة صعبة، ولغة لا يفهمها الأطفال، ولغة لا تصلح أن يبدأ بها؛ لأن الطفل نريد أن تكون نفسيته منطلقة، وسليقته طبيعية، فيتعلم في المدرسة ما يقوله في البيت وما يتعوده مع الناس، حتى إذا كبر استطعن - بعد ذلك - أن نضيف إليه لغة أجنبية عنه. هكذا يفكر بعض الناس، ولكني غير يائس من هذا التفكير، كما قلت، إنها مجرد فقائيع تبدو على السطح، ثم لا تلبث أن تنطفيء، وانطفأؤها سهل ويسير جداً، لأنها لو كانت ناراً لن تحرق مكانها. الواقع، إن هناك عيوباً لا أستطيع أن أنكرها، هناك انخفاض في مستوى التعليم، حتى أن بعض، ودعوني أخفف الأمر قليلاً،

بعض الذين يتخرجون من كليات اللغة العربية، الكليات التي تعد الناس للتخصص في اللغة العربية، أو لتدريس اللغة العربية، أسلوبها ضعيف، لغتهم غير مستقيمة، أخطاؤهم كثيرة. الذين أتيحت لهم الفرصة ليسمعوا اللغة التي يتكلم بها بعض المدرسين، لا أقول كل المدرسين، وإنما أقول بعض المدرسين في المدارس، يستطيعون أن يدركوا، إلى أي حد وصل الضعف، في صفوف المدرسين من جهة، وبالتالي في صفوف تلاميذهم من جهة أخرى. دعونا نسأل مرة أخرى، عن مدى العناية باللغة العربية في مناهجنا. نحن نهتم بأعداد الحصص. يهنا كثيراً أن نقول إن الصف الأول الابتدائي فيه (كذا) حصّة في اللغة العربية، والصف الثاني فيه (كذا) إلى أن ننتهي من المرحلة الثانوية، ولكن متى كان العدد مقياساً للإجادة؟! أعداد كثيرة ولكن مع التجاوز في التعبير، غناء كثفاء السيل. الأعداد كثيرة، والتكرار الممل موجود، والطريقة العقيمة موجودة، حتى إن كثيراً من التلاميذ الذين تستطيع أن تلمس فيهم التفوق، أو الاتجاه السليم للتعلم، والانفتاح، وانشراح الصدر لتعلم اللغة العربية، لا تلبث أن تجدهم يقولون: لقد مللنا، إنها صعبة. إننا لا نستطيع أن نفهم. إننا لا نستطيع أن ندرك ما يقوله المدرس.

هذه جنائية، واسمحوا لي أن أسميها جنائية، يجنيها المدرسون على تلاميذنا، وسببها أنهم ينطبق عليهم «أن فاقد الشيء لا يعطيه»، ولقد وصلنا إلى الحد الذي قيل لنا فيه: افتحوا أبواب تدريس اللغة العربية لكل واحد، لكل من يعرف ومن لا يعرف. أسألوا الآن جامعاتنا، على اختلافها، في كل بلادنا، كيف يختارون الطلاب للكليات المختلفة؟ وما نصيب أولئك الذين يختارونهم للتدريس؟ إنهم يكونون في آخر القائمة دائماً، إلا إذا كان الواحد منهم برغبته، هو الذي يميل إلى التدريس، ويفضله على غيره.

أسألوا الجامعات الآن: كم عدد الذين يتوجهون إلى قسم اللغة العربية، طوعية واختياراً، ليتخصصوا فيها؟، أماننا الجامعات كلها، تسوق الطلاب سوقاً إلى التخصص في اللغة العربية. والسبب أن النظرة الاجتماعية إلى المدرسين بصفة عامة، نظرة غير سليمة، وأن النظرة إلى معلمي اللغة العربية بصفة أخص، هي نظرة فيها كثير من التعالي من الآخرين. وشيء ثالث وهو أن المدرسين أنفسهم يستسلمون، وبخاصة مدرسي اللغة العربية، يستسلمون لهذا الوضع، ويرضون لأنفسهم، بأن يكونوا هم في ذيل القائمة.

هناك عوامل - في نظري - تبشر بالخير، وتدعونا إلى التفاؤل. من بين هذه العوامل: الوضع الاقتصادي لكثير من الدول العربية الآن. إذا كان الوضع السياسي قد دعا الكثيرين إلى التخلي عن اللغة العربية، والتمسح باللغات الأجنبية فإنني أعتقد أن الوضع الاقتصادي الراهن، وهذه عقيدتي الخاصة، من العوامل التي يجب أن تستغل لتكون في

صف اللغة العربية، ولكي تكون سبيلاً إلى النهوض بالفصحى، إلى جانب اللهجات العامية المستعملة، وعدم التخلي عن الفصحى نهائياً.

ولقد أدرك غير العرب، ما للغة العربية من أهمية، وأصبحنا نجد الآن في الجامعات السعودية على وجه الخصوص دعوات كثيرة للمساعدة في إنشاء قسم للغة العربية في جامعة كذا بأمريكا، أو لتعيين أستاذ متخصص في اللغة العربية في جامعة كندا بأمريكا. . وتنهال هذه الطلبات على السعودية بصفة خاصة، ولا شك أنها تنهال على دول الخليج أيضاً، طالبين المساعدات، والمعاونات، حتى يُعلِّموا تلاميذهم اللغة العربية، بإنشاء أقسام مستقلة للغة العربية، أو بتعيين أساتذة لها.

وفرنسا، لعلكم قرأتم، وتعلمون أنها في السنوات الأخيرة مصرة على إنشاء معهد تسميه «معهد اللغة العربية». ويتزعم هذه الحركة، أويرعاها الرئيس الفرنسي الحالي «جيسكار ديستان». ومنذ قليل تنهال على الجامعات السعودية هنا، دعوات للإسهام في معارض، تقام في عشرين مدينة فرنسية للغة العربية.

نفس الشيء نستطيع أن نقوله عن الجامعات الإنجليزية وغيرها. هكذا صحا الناس في البلاد غير العربية إلى أهمية اللغة العربية، وهكذا يحاولون جاهدين أن يُعلِّموا أولادهم. إلى جانب هذا، هنا في هذا البلد، وفي غيره من الدول العربية، التي يشعر العالم بأن في يدها مفاتيح الاقتصاد الآن. لم نكن نسمع من قبل عن هذا العدد الهائل من الزيارات السياسية التي تأتي إلى هذه البلاد. هذه الزيارات تعطينا، على الأقل، شعوراً بالعزة النفسية، شعوراً بأننا لم نعد أولئك الذين كنا نحس في الماضي بأننا من الناحية الاجتماعية أقل من غيرنا، وبأن الآخرين ينظرون إلينا على أننا اتباع. لقد أصبحوا الآن يأتون إلى هنا ليخطبوا وذه هذه البلاد. وهكذا نجد أن التعامل الاقتصادي في صالحنا، وأننا نستطيع من خلال هذا العامل، أن نعمل على رفعة اللغة العربية، وعلى سيادتها، وعلى انتشارها، لا في الدول العربية وحدها، بل في الدول الأجنبية أيضاً.

والذين على علم منكم بمعاهد تعليم اللغة العربية لغير العرب، يدركون مدى الإقبال على هذه المعاهد، ومدى الرغبة في تعلم اللغة العربية، ثم إن الوافدين للعمل، أو للزيارة، أو للإسهام في المجالات العلمية، من الدول الأجنبية، إلى هنا، كلهم أصبحوا حريصين على أن يتعلموا اللغة العربية، وبخاصة الذين يعملون هنا، وفي الدول العربية المختلفة؛ لأنهم في حاجة إلى اللغة العربية، من أجل كسب قوتهم، وهكذا نجد أن هناك عوامل كثيرة كلها في صف العمل على النهوض باللغة العربية الفصحى، وعلى الصَّحوة،

لكي نرفع من شأنها، ولكي نحس بالعزة ونحن نتكلمها، لكي نحس بالفخر لأنها لغتنا، ولكي نتخلص من عقدة التقليد الأعمى للخواجات، وللغات الأجنبية، وحشرها في كل كلمة نقولها. وإذا سمحتم لي أن أعرض من وجهة نظري، بعض النقاط التي خطرت في بالي، والتي يمكن أن تسهم، أو أن تساعد في إعادة اللغة العربية الفصحى، إلى مكانها الصحيح، فإنني على عكس تلك السيدة التي كانت تقول بعدم تعليم الأطفال، أقول يجب أن نبدأ من المرحلة الابتدائية، ويستدعي هذا العناية بكتاب اللغة العربية، ويستدعي هذا حسن إعداد معلم اللغة العربية للمصفوف الابتدائية، حتى يستطيع أن يقرأ قراءة سليمة، ولعلي لا أكون مغالياً، ولا أجاوز الصواب، إذا قلت إن الاهتمام باللغة العربية، يأتي أولاً من الاهتمام بالقراءة، وليس من الاهتمام بقواعد النحو والصرف، ولا بقواعد البلاغة، أريد أن أعود الأطفال النطق السليم أولاً، أريد أن أجعلهم ينطقون كما كان الأطفال الصغار قديماً ينطقون. لم يكونوا يعرفون القواعد الموضوعية للنحو والصرف، ولكنهم مع ذلك كانوا ينطقون نطقاً صحيحاً، وأرجو أن تعذروني إذا قلت إن الطريقة التي تعلم بها اللغة العربية الآن، حتى القراءة طريقة عقيم، لست أدري من ذلك الشيطان الذي استطاع أن يحول تعليم القراءة إلى حفظ فقرات، وتسميعها، وكتابتها كتابة، بعد ذلك يسأل: من هذا؟ وما هذا؟ ما ذاك؟ اذكر. اكتب. حتى في القراءة؟.

وأصبحت القراءة تعلم كتابة، تعلم عن طريق الكتابة، أما التلميذ فهو يستطيع أن يحفظ بعض الأشياء، فإذا جاء وقت الامتحان، وجد عبارات مكتوبة: القصة الفلانية قرأتها، لماذا ذكر اللفظ الفلاني؟ ولماذا قال كذا؟.

لو أن الطفل، أو لو أن التلميذ، استطاع أن يقرأ قراءة سليمة، فهذا - لا شك - يدل على أنه قد فهم المعنى، وإذا أردت أن تحاوره في المعنى، فحاوره شفاهاً أما أن تقول له: اذهب، احفظ كما تحفظ القواعد، !! كم من التلاميذ درس القواعد عشر سنوات، وأكثر من عشر سنوات، ثم لا يعرف عنها أي شيء؟ هو يستطيع أن يقول لك إن القاعدة تقول إن الفاعل مرفوع، وتقول إن المفعول به منصوب، أو يستطيع أن يسرد عليك كل ما هو موجود في كتاب النحو من هذا. ولكنك إذا أعطيته جملة صغيرة مكونة من سطرين أو ثلاثة أسطر، لا يستطيع أن يقرأها قراءة سليمة، فأني جناية تلك التي تتبعها في تعليم لغتنا؟ ليس المهم أن نحفظ القواعد بقدر ما يهم أن نقرأ قراءة سليمة أولاً، أرجو ألا أفهم خطأ «أنا لا أقول ينبغي ألا نعلم القواعد، وإنما أقول ينبغي أن نقرأ قراءة سليمة أولاً، وصحيحة، أن نعلم المعلمين أولاً كيف يقرأون، وأن نعلمهم كيف يعبرون عن أنفسهم تعبيراً سليماً، وأن يعودوا أنفسهم حسن الإلقاء، والتعبير عن المعاني، في الأشياء التي يلقونها، إذا استطاعوا



أن يفعلوا ذلك، فإن تلاميذهم سوف يقلدونهم. اجعلوا التلاميذ يقرأون كثيراً فإن أخطأوا في أول الأمر، فإنهم لا بد أن يصححوا أنفسهم بعد ذلك، لأن سليقتهم وطبيعتهم تتفق مع اللغة العربية، ولأنهم على استعداد لأن ينطقوها نطقاً صحيحاً، إذا نطقت أمامهم. فأهم شيء في نظري هو، أولاً: أن نعلم معلمي المدرسة الابتدائية تعليماً صحيحاً، وأن نحسن اختيارهم، لا نأخذهم من راسبي الثانوية العامة، ولا نأخذهم من الناجحين بمجرف الدفع. نأخذ صفوة الحاصلين على الثانوية العامة لكي يكونوا مدرسين، سيضحك الكثيرون مني، يقولون: تريد أن تأخذ الصفوة لتعليم اللغة العربية، وتترك الطب والهندسة والزراعة والتجارة؟، نعم أريد هذا، لأنه، إذا حسن إعداد التلميذ للغته وإتقانه إياها؛ حسن إعداداته لجميع المهن، وأداها أحسن أداء. ثم لماذا أترك المدرسين بعامة، ومدرسي اللغة العربية بصفة خاصة، لماذا أتركهم يحسون الغبن؟ لماذا أتركهم يحسون أنهم أقل جاهاً من غيرهم؟، ولماذا لا أعطيهم المنزلة التي يستحقونها، بوصفهم الأمناء على ثقافة هذه الأمة؟ بوصفهم الأمناء على الحفاظ على دين هذه الأمة؟ بوصفهم المسؤولين عن رعاية لغة القرآن؟ لماذا لا نعطي هؤلاء منزلة عالية اجتماعياً، ومادياً، وفي كل النواحي؟، لماذا لا نختارهم أحسن اختيار أولاً، من حيث المستوى الثقافي؟ ثم نعطيهم من الناحية المادية ما يكفيهم، وما يشعرهم بأن لهم منزلة مرموقة في المجتمع، ثم نطالبهم بعد ذلك بالأداء الحسن؟. نضع بين أيديهم كتباً موضوعة على أساس سليم؟! كتباً يستطيع أن يفهمها الأطفال، كتباً تحاطب عقول الأطفال قبل أن تحاطب عقول الكبار، كتباً ليس همها أن تقلد كتب الغرب، وأن تنقل عن التأليف الغربي كما هو، كتباً يراعى فيها أن يتعلم منها الأطفال دائماً شيئاً جديداً، شيئاً، محبباً إلى نفوسهم، ثم نضع بين أيديهم الوسائل التي تعينهم على تحقيق ذلك. كل الوسائل التقنية الحديثة، يجب أن تكون بين أيدي معلمي اللغة العربية، ويجب أن يشعر التلميذ، وهو ذاهب إلى درس اللغة العربية، بأنه ذاهب إلى درس شيق، درس محبب إلى نفسه، درس يريد أن يتعلمه، لا ينفر منه ولا يهرب، لا أن يحس أن المدرس قاس عليه ولا أن الدرس في نظره صعب عليه، ولا أنه يسمع كلاماً لا يجب أن يسمعه، في أثناء الدرس، إلى غير هذه الأشياء التي تعرفونها كما أعرفها.

إذاً لكي نعود باللغة العربية الفصحى إلى مكانتها، يجب أن نهتم بالتعليم، يجب أن نختار المدرسين، وأن يكونوا على خير مستوى. يجب أن نهتم بالمناهج التي تدرس لهم وأن نضع هذه المناهج؛ ليس بهدف التكرار، والإعادة، لأشياء غير مفهومة، وإلى إدراك مقدار ما فيها من حلاوة، ومقدار قدرتها على التعبير عن كل المعاني، في هذا العصر، وفي كل عصر يأتي من بعد.

وإذا غرسنا في نفوس التلاميذ حب اللغة العربية من بداية المرحلة الابتدائية، فلا شك أن هذا سوف ينتقل معهم في المراحل الأخرى، وسوف يعود - إن شاء الله - بالخير والنفع على المجتمع بصفة عامة .

والله الموفق وشكراً لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،